تفسير المراغي

تأليف

صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

أحمد مصطفى المراغي

أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية
بكلية دار العلوم سابقا

الجزء العشرون

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

الطبعة الأولى

١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م

حقوق الطبع محفوظة

وخبرين : إنا رادوه إليه وجاعلوه . و بشارتين فى ضمن الخبرين : وهما الرد والجعل من المرسلين ، حكى عن الأصمعى قال : سمعت أعرابية تنشد :

أستغفر الله لذنبي كله قبّلت إنسانا بغير حله
مثل الغزال ناعما فى دَلّه فانتصف الليل ولم أصلّه

فقلت : قاتلك الله ماأفصحك! قالت أو بعد هذا فصاحة مع قوله تعالى: وأوحينا إلى أم موسى الآية ؟ فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين و بشارتين .

ثم ذكر صدق وعده ومقدمات نجاته فقال :

(فالتقطه آل فرعون) أى فأخذه أهل فرعون أخذ اللقطة التى يعنى ٣٠
وتصان عن الضياع صبيحة الليل الذى ألقى فيه بالتابوت .

روى أن الموج أقبل به يرفعه مرة و يخفضه أخرى حتى أدخله بين الأشجار عند بيت فرعون ، فخرج جوارى امرأته إلى الشط فوجدن التابوت فأدخلنه إليها وظنن أن فيه مالا ، فلما فتحنه وجدن فيه غلاما فوقعت عليها رحمته فأحبته .

ولما أخبرت فرعون به أراد أن يذبحه إذ قال إنى أخاف أن يكون هذا من بنى إسرائيل وأن يكون هلاكنا على يديه ، فلم تزل تكلمه حتى تركه لها .

ثم ذكر سبحانه أن العاقبة كانت ضد ما قصدت فقال :

(ليكون لهم عدوا وحزنا) أى لتكون عاقبة أمره كذلك إذ أراد الله هذا ، وهذا كما تقول لآخر تؤنبه على فعل كان قد فعله وهو يظن نفسه محسنا فيه وأدى الأمر إلى مساءة وضرّ قد لحقه : فعلت هذا لضر نفسك ، وهو قد كان حين الفعل راجيا نفعه غير أن العاقبة جاءت بخلاف ما يرجو ، وهذا جار على سنن العرب فى كلامهم فيذكرون الحال بالمآل ، قال شاعرهم :

وللمنايا تربى كل مُرْضِعَةٍ ودُورُنا لخراب الدهر نَبْنيها

وقال آخر :

فللموت تغذو الوالدات سِخَالَهَا كما لخراب الدهر تُبْنَى المساكن

فعاقبة البناء الخراب وإن كان فى الحال مفروحا به ، وعاقبة تغذية السخال الذبح وإن كانت الآن تغذى لتسمن .

والخلاصة — إن الله قيضهم لالتقاطه ليجعله لهم عدوا وحزنا ، ويستبين لهم بطلان حذرهم منه .

وعداوته إياهم مخالفته لهم فى دينهم وحملهم على الحق ، وحزنهم بزوال ملكهم على يديه بالغرق بعد أن يُظهِرَ فيهم الآيات ولا يستجيبوا لدعوته ، فتحل بهم القوارع كما هى سنة الله فى خلقه المكذبين .

ثم بين أن القتل الذى يفعله فرعون وهامان وجنوده لبنى إسرائيل حمق وطيش فقال :

(إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أى إن هؤلاء كان من دأبهم الخطأ وعدم حسن التصرف فى العواقب ، ومن ثم قتلوا لأجله ألوفا ، ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون .

ثم حكى سبحانه قول امرأة فرعون حين رآه فرعون وهمّ بقتله .

(وقالت امرأة فرعون قرّة عين لى ولك لا تقتلوه) أى قالت تخاصم عنه وتحببه إلى فرعون : إنه مما تقرّ به العيون وتفرح لرؤيته القلوب فلا تقتلوه .

ثم ذكرت العلة التى قالت لأجلها ما قالت .

(عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) أى لعلنا نصيب منه خيرا ، لأنى أرى فيه مخايل اليمن ودلائل النجابة ، كما قال الشاعر :

فى المهد ينطق عن سعادة جَدّه أثر النجابة ساطع البرهان

أو نتخذه ولدا لما فيه من الوسامة وجمال المنظر التى تجعله أهلا لتبنى الملوك له ، وكانت لا تلد فاستوهبته من فرعون فوهبه لها .

ثم بين سبحانه أنهم لا يدرون خطأهم فيما صنعوا فقال :

(وهم لا يشعرون) أى وهم لا شعور لهم بما خبأه لهم القدر وبما يئول إليه أمرهم

معه من عظائم الأمور التى تؤدى إلى هلاكهم ، وإنما عِلْم ذلك لدى علام الغيوب فهو الذى يدرى ما أراد بالتقاطهم إياه من الحكم البالغة ، والحجج القاطعة .

وبعد أن أخبر سبحانه عن حال من لقيه موسى عليه السلام خبّر عن حال من فارقه بقوله :

(وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) أى إنها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون طار عقلها شعاعا ، لما دهمها من الجزع والحزن وتوقع الهلاك الذى لا مندوحة منه جريا على عادته مع أنداده ولداته ، ولولا أن عصمناها وثبتنا قلبها لأعلنت أمرها وأظهرت أنه ابنها وقالت من شدة الوجد (وا ولداه) وقد فعلنا ذلك لتكون من المصدِّقين بوعدنا : « إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ » .

ثم أخبر عن فعلها فى تعرف خبره بعد أن أخبر عن كتمها إياه بقوله :

(وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لايشعرون) أى وقالت لابنتها وكانت كبيرة تعى ما يقال لها : تتبعى أثره ، وتشممى خبره ، فأبصرته عن بعد وهم لايشعرون أنها تقصه وتتعرف حاله وأنها أخته .

ثم شرع سبحانه يذكر أسباب رده إليها فقال :

(وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) أى ومنعنا موسى المراضع من أول أمره ، فقالت أخته حين رأت اهتمامهم برضاعه : أتحبون أن أرشدكم إلى أهل بيت يأخذونه ويتولون تربيته ويقومون بجميع شئونه ولا يقصرون فى خدمته والعناية بأمره .

روى عن ابن عباس أنها لما قالت ذلك أخذوها وشكوا فى أمرها وقالوا لها : ما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه ؟ فقالت هم يفعلون ذلك رغبة منهم فى سرور الملك ورجاء عطائه ، وبذا خلصت من أذاهم وذهبوا معها إلى منزلهم ودخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه ، ففرحوا بذلك فرحا شديدا وذهب البشير إلى امرأة الملك